

بغية الطلب في تاريخ حلب

@ 3868 ذكره كان شيخا صالحا فاضلا متعبدا مجتهدا ناسكا كثير التقفر والسياسة والانفراد ظهرت له براهين وكرامات وكان أصله رحمه الله من أهل القيروان وكان مسكنه بالجلود جرت له في شببته صبوة وفتوة واتباع للشهوات ثم رجع عن ذلك فتاب وأناب وسبب رجوعه ما حدثني أبو عبد الله محمد بن هيبون الجزيري قال حدثني بعض شيوخه قال كان سبب توبة زهرون الطرابلسي أنه شق سوق العطارين بالقيروان فرأى فيه حدثا جميلا فوقع في نفسه منه شيء فدخل السوق فباع بدراهم كثيرة وكان رباعا بباب الغنم يجلب الغنم الى الداران فأتى بالدراهم نصف النهار وقت خلاء الأسواق فالتمس هو تلك الخلوة فأتى فوجد الحدث جالسا وحده في الدكان فصب الدراهم في حجره قال فنفضها الحدث من حجره الى الزقاق قال فأقبل زهرون يجمعها من الأرض وهو يقول هذه حيرة الذنوب قال فأحدث توبة في الوقت وترك الدنيا وأقبل على العبادة والتبتل وحج حججا كثيرة ذكر عن أبي بكر بن سعدوس المتعبد وكان من أصحابه أنه حج سبعا وعشرين حجة وكان يأخذ طريق تبوك بلا زاد ولا راحلة على طريق القفر والبوادي وهي طريقة معروفة عند أهل القفر يأخذها منهم أهل الصحة والأكابر من الفقراء كان بنو أمية يأخذونها من دمشق إلى مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم عفت آثارها وخربت ديارها وغارت مياهها .

قال وقال أبو بكر بن سعدوس قلت لزهرون أخبرني ما أعجب شيء رأيته بجبل اللكام قال بينا أنا أمشي فيه إذ أصابني العطش فاذا حجر حية فرأيت شيئا هالني فقت في عرضه ستة أشبار فقلت هذه حية وارده الماء فتبعت الأثر إلى هبط من الأرض فإذا بماء في فواره عليه تلك الحية برأس كراس البقرة وقرنان كقرنيها وعينان كعينيها فأفرغني ذلك فقلت لنفسي أين ما تدعين من حال التسليم فقلت لا بد من التمسح بها فقالت لي نفسي من جهة ذنبها فقلت لا من جهة رأسها فأقبلت فوضعت مرفقي عليها وألصقت خدي بخدها فاذا هي